## (٢)

# الحياة فى عالم مريض*

أنا واثق من أننا نستطيع تحقيق غاياتنا القومية إذا أردنا، فلدينا الديموقراطية والقيادة الحرة المؤمنة، والذى ينقصنا اليوم هو العلم وأخلاق العلم، وهى الدقة والعمل والحزم والنظام والخيال، بدون العلم وهذه الأخلاق سيكون عسيرا جدا أن نبلغ الصحة فى عالم مريض.

نحن نعيش فى عالم مريض، كل شعوب الدنيا تعانى أمراضا خطرة لا يشذ عن ذلك الولايات المتحدة أو روسيا، فأمريكا تعانى من التضخم والفساد الخلقى والمخدرات وكل مساوئ الغنى المفرط، هناك يظهر كل يوم مليونير جديد، فإن طموح الناس إلى الغنى شديد جدا، والناس يستهلكون أنفسهم فى جمع المال، والجمهور هناك غنى يشترى كل شىء، والغالبية العظمى من الناس متخصصون، كل منهم يتقن عمله ويؤديه بسرور لأنه متأكد من المكسب، ولكنه ينصرف بعد ذلك إلى أنواع من الفساد رذيلة جدا، فإن المرأة هناك عاملة وكاسبة وحرة، وهى لهذا طرف نشيط فى الفساد، والسكرتيرة التى تعمل ثمانى ساعات بكل مهارة على الحاسب الألكترونى تذهب إلى بيتها وتستحم وتتعطر ثم تمضى إلى حيث يخلو بها عشيقها - وهو فى الغالب رئيسها - للترفيه، كلهن على هذا الحال ولم يعد فيه هناك غرابة وهذا عادى جدا لا يشذ عنه الشيوخ، ولهذا فإن استهلاك الخمر رهيب، والمخدرات تنتشر والجريمة تزيد، وباستثناء قليلات من الزوجات الصالحات، فإن الفساد يطغى ويصعب إيقافه.

---

* نشرت هذه المقالة فى ١٩ أكتوبر ١٩٨٦م.

وفى روسيا يعلن ميخائيل جورباتشوف الحرب على الفساد، وألوف الموظفين الذين كانوا فوق المساءلة لمراكزهم فى الحزب يفصلون اليوم ويحالون للمحاكمة، وأحيانا يعدمون بسبب السرقة والإهمال والفساد الأخلاقى أيضا، والناس فى روسيا سئموا التقشف واستبداد الحزب وطغيان آراء ماركس ولينين وستالين، ويطالبون بطعام أحسن ومسكن أحسن ومعاملة إنسانية، ولكن سلطان الحزب رهيب، والعداوة للأديان ظالمة وكافرة، وفى الجمهوريات السوفيتية الإسلامية الآسيوية صراع حقيقى بين الإسلام والماركسية يصل إلى مستوى خطر فى جمهورية طاجيكستان، والدولة تنفق نصف الدخل على التسلح والاستعداد للحرب.
والمواطن الروسى لا يدرى لماذا لابد له من الانتظار ساعتين فى طابور الطعام ليحصل على رطل لحم خنزير، ثم يعمل بعد ذلك ثمانى ساعات فى إنتاج مواسير تدخل فى تركيب الصواريخ، والفساد هناك بلا حدود، والزنا بالغ حده، والمواطن لا يكتفى بزجاجة واحدة من الفودكا فى اليوم، وندع هذين العالمين الأول والثانى لكى ننظر فى أحوال عالمنا الثالث، هنا نجد كل الدول مريضة بأمراض عضال، وبلاد ليس لها الحق أبدا فى أن تشكو أصبحت اليوم تعانى من أمراض غير معقولة، فالبرازيل التى تملك من موارد الدينا فوق ما تملكه الولايات المتحدة يشكو أكثر من ثلثى سكانها من الفقر، بل المجاعة، وفى مقاطعة بورتو دوسول فى الجنوب أكثر من ١٢٠ مليون فدان أرض لا تجد من يزرعها، وهى مسجلة باسم عائلات إقطاعية يعيش أفرادها فى ميامى ويطلبون إلى الحكومة أن تمنع الزراع من الدخول فيها وزراعتها والحكومة تستجيب لذلك وتمنع الزراع من الزراعة وترميهم بالرصاص، والبلد مدين بألف مليون دولار أنفق نصفها فى مشروعات والباقى فى ترف وفساد، لأن الموسرين هناك يعيشون فى ضياع يخدمهم فيها عشرات الخدم، والنسوان فاسدات، وهن ينفقن بلا حساب ويشترين الفستان الفرنسى بخمسة آلاف دولار، وفى آخر السهرة لا ينمن فى بيوتهن، بل يخرجن مع العشيق إلى فندق أمريكى أجر الغرفة

فيه ثلاثمائة دولار، وقبل النوم تستهلك الواحدة مع صاحبها زجاجتى كونياك فرسنى يحسبهما الفندق بمائتى دولار..

وفى نيكاراجوا يقف الرئيس الشيوعى دانييل أورتيجا ينادى بآراء أوجوستو ساندينو المعادية للولايات المتحدة التى تمول جيشا لمحاربة الحكومة يسمى جيش الكونتراس أى المعارضين للدولة، والحرب تدور فى المزارع، والفلاحون يموتون من الجوع لأن الحرب لا تسمح لهم بالزراعة، والولايات المتحدة تعرف هذه الحقيقة، ولكنها تحارب فى سبيل رأس مال أمريكى يتمثل فى شركة شيطانة هى الأمريكان فروت التى تصر على أن تحكم أمريكا الوسطى بالحديد والنار، لكى يستمر سيل الفواكه والعصائر يتدفق فى الولايات المتحدة..

وفى المكسيك أمراض أخرى كثيرة يشكو منها رئيسها ميجيل دى لا مدريد، وهو رئيس طيب مصلح يواجه دينا قدره تسعون ألف مليون دولار وشعبا لا يريد أن يعمل، والمكسيكى إنسان لطيف فنان يعتقد أن المكسيك أعظم بلاد الدنيا، ولكنه لا يعمل ما يبرر هذا الادعاء، وقد أنشأوا بالقروض مجموعة من أعظم الشوارع العالمية فى الدنيا وجامعات هى أعاجيب فى هندستها، ولكن الطلاب لا يتعلمون فيها إلا القليل، وهناك كل شىء بثمنه، فالمواطن يدفع غرامة مخالفة المرور، ولكنه يستطيع أن يدفع نصف قيمتها للحارس ويأخذ سيارته ويمضى، وكل إمضاء فى المكاتب له ثمن، والرشوة لا تعرف المستحيل، والموظف راتبه مثلا ألف بيسو، ولكنه يحتاج لكى يعيش مع أسرته إلى خمسة آلاف فى الشهر، وبدلا من أن يحصل خمسة آلاف فهو يحصل عشرة آلاف، لأنه رجل مترف منفوخ، يلبس بدلة أمريكية، وامرأته ترتدى فستانا فرنسيا، ويتعشيان فى مطعم أنيق، والأولاد فى البيت لديهم تليفزيون يعرض على عشرين قناة أفلاما أخف وزنا من أفلام إسماعيل ياسين.

وكل هذا تحققه الحكومة بالقروض، وأصحاب الديون هم أصحاب المصارف الأمريكية والكندية والأوروبية، وأرباح الديون تصل أحيانا إلى ٢٣

فى المائة فى السنة وهذه الأرباح كلها سرقة لأن رجال تلك البنوك يعيشون حياة من وراء العقول، وقد استمعت فى الإذاعة إلى ملخص كتاب عن الديون وأصحابها وبعثت أطلبه، والذى يقال فيه يثير الأعصاب ويثبت بالبرهان الثابت أن لعنة الإسلام للربا حق، فمرتبات أعضاء مجالس الإدارات تصل إلى مائتى ألف دولار فى العام، وكما كانت مصر أيام الاحتلال تدفع نفقات جيش الاحتلال ومرتبات القادة والجنود، فكذلك مدين اليوم يدفع تكاليف سهرة المدير فى البنك مع سكرتيرته ولوازم السهرة، وقد قسموا الدنيا إلى أغنياء وفقراء، والأغنياء يعيشون على دم الفقراء ويحرصون على أن يزدادوا فقرا، وإذا شكت الدول المدينة من ثقل الديون والعجز عن أداء الأرباح عرضوا ديونا أخرى والحساب يجمع، وهم كل يوم مجتمعون فى عاصمة كبرى ليروا كيف يحافظون على العز الذى هم فيه، وكل ما نسمع من جهود الدول الغنية لمعاونى الدول الفقيرة كلام فارغ، فالدول الغنية تحارب لكى تظل غنية، وهى تعرف أنها لن تظل غنية إلا إذا ظل الآخرون أفقر وأفقر، ولعلك سمعت عن أزمة جنوب السودان، فإن هذه الأزمة واحدة من نتائج المرض الأكبر الذى يعانيه السودان، وهو الفقر، والفقر هناك ناتج - ودعنى والله أقولها - من أن السودانى العادى لا يحب العمل، الأرض أمامه والنيل تحت بصره، ولكنه لا يحب أن يزرع، والقمح ساكن فى بطن الأرض، ولكن أحدا لا يمسك الفأس ليفتح له ليخرج ويطعم الناس، وأسهل من ذلك أن نطلب المعونة، وجون جارانج مواطن سودانى خائن بلاشك، فهو يخدم فى النهاية أطماع مجلس الكنائس العالمى والذين وراءه - وهم أوروبا وأمريكا - يريدون أن يروا دولة سودانية مسيحية فى جنوب بحر الغزال وهى أغنى أقاليم السودان، وقد كان هذا الرجل طالبا يدرس الطب فى الجامعات الأمريكية، عندما فقد صبره من فساد جعفر النميرى، وكسل كل من كان حوله، فدخل فى خدمة أعداء السودان وأنشأ ما يسمى بجيش تحرير السودان، والحكومة هناك لا تستطيع القضاء عليه لقلة ذات اليد، واليد

تفيض بالمال إذا فتح الناس أمخاخهم وعواطفهم، وفتحوا الأبواب لليد العاملة من خارج السودان، ولكن هذا مستحيل، لأن تقاليد لا يفهمها أحد تجعلهم يفضلون موت مواطنيهم جوعا وضياع جنوب السودان على فتح الأبواب للعاملين الذين يتصورون أنهم مستعمرون، وهذه هى فكرة طلبة جامعة القاهرة فرع الخرطوم يتعلمون على حساب مصر ويلعنون ابا خاش مصر، ومصر تستحق - إذا جئت إلى الحق - لأنها أولا ليست ملزمة بفتح هذا الفرع، وثانيا ترسل أساتذة تحت المستوى، وكل همهم الفلوس، والحكاية كلها لعبة دعاية لا يخفى سرها على أحد، ولعبة الدعاية مرض من أمراضنا القومية فى مصر.

□□□

وندخل الآن فى أمراض مصر، وقبل أن أتحدث أحب أن أقرر أننا نعرف المحاسن ونقررها، كما نعرف الأضداد ونتكلم عليها، وأنا شخصيا أرى أن السيد الدكتور على لطفى رئيس وزراء ممتاز يستهلك نفسه فى سبيل بلاده، وهو مكافح مثلى ومثلك لا يكفيه راتبه لسد احتياجاته، ولكنه فى الحقيقة مناضل قومى. لأنه يخوض معركة قريبة جدا من المستحيلة، لأن طريق الإصلاح الذى يسير فيه ملئ بعقبات ورثها النظام من العصر الناصرى، فإن العصر الناصرى كان عصر ارتجال، والقرارات كانت تصدر فيه عن رجل محب لنفسه محتقر لبقية الدنيا، وكان يحارب شريكا له فى الحكم ومخالفا له فى نفس الوقت على طول الطريق، وهذا الشريك كان متحصنا فى الجيش، فتحصن عبد الناصر فى طبقات من الشعب ظن أنها تناصره دون تفكير فاتخذ - مثلا - القرارات الاشتراكية دون دراسة، ولكنه ظن أن الناس يفرحون بها، لا لأن أموال الذين سيصادرون ستصير إليهم، بل لأن جماعات الجماهير فى الدنيا فيها ميل إلى التشفى والفرح فى مصائب من يظنون أنهم أغنياء، والنتيجة أن رءوس

الأموال وشركات البلد واقتصادها كله وقع فى أيدى جماعات مجهولة من المحاسيب، ودخلنا فى مأساة القطاع العام، وهى مشكلة قومية فعلا، لأنها جعلت الدولة تاجرة وصانعة ومصدرة ومديرة بنوك، وسيدى رئيس الوزراء – وهو اقتصادى كبير – يعرف أن الدول لا تصلح لهذا، لا دولتنا وحدها، بل كل الدول فموظف الدولة لا يمكن أن يكون إلا موظفا مطيعا لرؤسائه، ولا يمكن أن يكون لديه الخيال أو التطلع أو روح المغامرة التى هى أساس النجاح فى الاقتصاد، وموظف الحكومة عندنا بدأ من ذلك الحين ينحدر انحدارا محزنا فى كل مستويات الأعمال، وليس هناك خلاف عندنا اليوم فى أن أى عمل لك فى مكاتب الدولة لا يمكن أن يسير سيرا معقولا، وأنا شخصيا أحاذر أن تكون لى مصلحة فى أية إدارة، ولكى أستخرج بطاقة التموين كان على أن أذهب إلى المكتب فوق العشر مرات. ومع ذلك فعندما سلمونى إياها وجدت أخطاء فى الاسم والبيانات واضطررنا إلى استبدال غيرها بها، والموظف الذى ناولنى إياها لم يشعر بأى خجل عن الخطأ، وما من مرة أذهب إلى محل التموين إلا وجدت صعوبات، واضطررت إلى الانتظار أضعاف الوقت المطلوب، وآخر مرة حاسبونى عن الضرائب كان عن ١٩٨٢م مع أن حساباتى عندهم إلى ١٩٨٥م فى مواعيدها ولكن الموظفين لا يعملون.

ونحن عندما ننتقد لا ننقد الحكومة بمستوياتها العالية، بل إنها دائما طبقات الموظفين المنفذين، إنها دائما الانفراستركنشر المريضة، وأنا شخصيا لا أتصور رئيس وزراء هو خير من الدكتور على لطفى، فهو رجل مثقف جدا، وذكى ومجرب ووطنى عظيم، ولكن ماذا يعمل سيادته فى نظام التعليم المتدهور من ساسة لرأسه؟ فالمدارس لا تعلم والجامعات لا تثقف والمعاهد لا تكون، نتيجة لنكبتين: مجانية التعليم، وهى أكذوبة ورثناها عن العصر الناصرى – وتدهور كوادر التدريس، وبلد مثل بلدنا يحتاج فى

هذا العصر لابد له من فئة ولو قليلة من الفنيين المكونين تكوينا علميا وإنسانيا عاليا، فإن مستوى العلم فى عصرنا بلغ حدا يفوق التصور، ومصارف الدنيا كلها تعمل كل شىء بالآلات، فلا تأخذ كشفا أو إيصالا إلا مكتوبا بماكينة، ومعظم بنوكنا لا تزال تكتب باليد وبخط ردىء جدا، وكشوف الحسابات لا تخلو من أخطاء أبدا، وهذا طبيعى فى بلد يتخرج فيه الشاب فى كلية التجارة دون أن يعرف الكتابة على الآلة الكاتبة، وعضوية مجالس إدارات البنوك تعطى فى أحيان كثيرة مكافآت لناس بعيدين عن صنعة البنوك والمال، ولا أحد فى البنك كله مسئول مسئولية حقيقية، وأصغر موظف يكلف أى زميل له بأن يأخذ له إجازة عارضة ويتغيب عن العمل دون أن يخشى أى عقاب.

□□□

والمرض الأكبر فى رأيى – وأنا هنا لا أنقد بل أناقش – هو انعدام العلاقة بين العمل والأجر، فالأجر رزق من الله يأتى الموظف سواء عمل أو لم يعمل، أما العمل فهو فضل منه يتصدق به علينا إذا أراد، وفى المصانع الكبرى – بما فى ذلك مصانع النسيج – يتحول الأمر إلى مأساة قومية فعشرات الألوف من الأمتار من القماش تهدر وتخرج تالفة غير صالحة للاستعمال، لأن خيطا من الخيوط انقطع، ولم يتنبه له العامل أو العاملة، والصباغة غير معقولة لضعف المستوى العلمى والحرفى للقائمين بالصباغة، والإنتاج لا يختبر أبدا، وإذا اختبر وتبينت عيوبه فهى مستعصية على العلاج لأن الآلات فقدت دقتها وإحكامها منذ ركبت، والعمال الذين يقومون عليها لا يهمهم أمرها، ولا يبذلون أى جهد فى المحافظة عليها، وهم مع ذلك فى مطالبة متصلة بالزيادات فى الأجور لأن الأسعار فعلا ترتفع، وفى ميدان الطباعة الذى أعرف عنه شيئا انحدرت مطابعنا إلى الدرجة الثالثة والرابعة ولا نسبة إطلاقا بين مستوى الطباعة وأسعارها فى

مصر ولبنان، أو فى مصر وتايوان أو سنغافورة وباستثناء مطبعة واحدة فقدنا كل مهارة فى موضوع فصل الألوان أو تغليف الكتب، ونحن الذين نملك فى بلادنا أضعاف ما تملك بيروت من المطابع لا نطبع اليوم ربع ما تطبعه، والفرق بين كتبنا وكتبها فى المستوى الطباعى شاسع، هذا لأننا فقدنا فعلا القدرة على التصحيح لأن خريجى أقسام اللغة العربية فى جامعاتنا وكلية دار العلوم والجامعة الأزهرية يحصلون على ليسانس اللغة العربية بدون لغة عربية.

وإذا صح هذا فيصح أيضا أن نقول إن خريج كلية الطب يتخرج دون طب، وهذا كلام يقوله المتخصصون الجادون، وقد أكد أحدهم فى اجتماع عام أن خريج الطب يبدأ فى تعلم الطب على أجساد الناس فى المستشفيات بعد التخرج. ولا يمكنك الوثوق فى رأى خريج طب إلا بعد عشر سنوات من التخرج على الأقل، ولابد كذلك من دبلومات وماجستير وربما دكتوراه، وهذا أمر نلمسه جميعا خاصة أن مستوى العلم باللغة الانجليزية ضاع تماما، ومن العبث أن تسأل أى طبيب شاب إن كان قد قرأ كتابا، هذا مع الجشع الزائد إلى المال والإلحاح فى طلبه مع انخفاض ذريع فى مستوى التمريض وضعف إحساس المرضة بالمسئولية، ولم تعد هناك – إلا فى النادر – ممرضة تستحى من طلب البقشيش والإلحاح فيه، وقد زرنا أخيرا مستشفى تخصصيا فيه آلات حديثة جدا، والطبيب القائم عليها لا بأس به، ولكن ممرضاته كارثة، والأجهزة البالغة الحساسية تشرف عليها ممرضات بلا حساسية إطلاقا، بعد أن تنجب المرضة أربعة أولاد من الطبيعى أن تصبح هى نفسها متأخرة قليا وإنسانيا، فهى مرهقة المسئوليات والمطالب، وإذا ذهبت إلى مستشفى قصر العينى مثلا ووقفت فى أحد الممرات لرأيت المرضات طائرات ووزن الواحدة منهن طن، وهى فى العادة تمشى وهى نائمة كأنها جمل..

أما الهندسة فإن أى إنسان يزور أوروبا يرى للمبانى هناك شكلا آخر يدل على علم جديد وخيال وجهد، وهذا غير الشكل التقليدى المحفوظ لدينا، والهندسة المعمارية دائما مظهر جميل من مظاهر حضارة الشعب كما ترى فى أوروبا حيث المبانى - داخلا وخارجا - قطع من الفن والجمال والعظمة أيضا، حتى مستويات هندسة التى كنا ننشئها فى الماضى مثل مبنى القضاء العالى مثلا لم نعد بقادرين على إنشاء أمثالها، وقد أنشأوا فى كلية الآداب بجامعة القاهرة مبنى جديدا ضخما تكلف فيما يقال ثلاثين مليون جنيه، وليس فيه من الجمال والبهاء، أو حتى موافقة الغرض المطلوب - يساوى ثلاثة مليمات، لأن الخيال منعدم عند المهندسين مع قلة العلم والبعد عن روح العظمة التى لابد منها فى مثل تلك المنشآت حتى يكتسب الطلاب وعزة، هذا وأعداد الموظفين الإداريين فى الجامعات فى زيادة، وهم يستولون على الحجرات كأنهم جيش فاتح، والأوراق فى أدراجهم تنام نوما عميقا، والتعليم فى قاعات الدرس ينام نوما أعمق، فالمدرس أو عضو هيئة التدريس يؤلف للطلاب مذكرة لا تزيد على ستين سبعين صفحة تطبع بالماستر وتباع بسعر ستة جنيهات فى المتوسط، والامتحان يجئ فى ثلاثين صفحة منها، هذا إلى غنائم الامتحانات التى لا تنتهى، والمشرفون على التعليم العالى يعتقدون فيما نظن أن زيادة الامتحانات ترفع المستوى، والله وحده يعلم بما يدور فى صدورهم..

أما فروع الهندسة الأخرى فها أنت ترى مستويات الكهرباء والميكانيكا عندنا.وقد كنا نظن أن لدينا صناعة سيارات بعد نحو ثلاثين سنة من إنشائها فى بلادنا حتى أعلنت الحكومة أخيرا أنها تنشئ شركة سيارات جديدة بإشراف أمريكى، لأن الذى لدينا - وهكذا قالوا - ورشة تجميع. ولو رأيت يا سيدى كيف يعاملون الناس فى ورشة التجميع تلك لملكك

العجب، فأنت تذهب نحو سبع أو ثمانى مرات إلى مكاتب شتى فى البلد كى تشترى منهم سيارة، ويرسلونك إلى مصارف لتدفع الثمن بالدولارات حينا وبالجنيه حينا، ثم تذهب أخيرا لتتسلم سيارتك فتجد نفسك وسط حوالى عشرة موظفين لا يهتم واحد منهم بأمرك. إنما هم يتسامرون ويتكلمون بالتليفون ويشربون القهوة ويأكلون الصاندويتش، ثم يساومونك على اللون، لأن هناك ألوانا لمحاسيبهم. وعندما تتسلم السيارة لا تجد معها كتاب التعليمات أبدا، لأنهم أميون، ومن ثم فهم لا يعرفون أهمية قراءة التعليمات. وقد استلمنا السيارة فى القاهرة ولكننا أتينا بدفتر التعليمات من إيطاليا وبدونه لا يمكن أن تستعمل السيارة استعمالا سليما، ولكن الاستعمال السليم لأى شىء ليس تقليدا مصريا.

□□□

ذلك هو مرضنا الأكبر الذى نعانيه فى أيامنا هذه: انعدام المستوى العلمى والفنى وقلة كفاية الانفراستركنشر أى الطبقة العاملة. وهى عصب الإنتاج فى عصرنا، وما رأيك فى أن موظفى الحجز فى شركة الطيران القومية لا يحسنون الحجز لأنهم لا يتقنون جهاز الكومبيوتر، وأكثر من مرة قالوا لى إنه لا تذاكر هناك. وعلى مسئوليتى ذهبت إلى المطار، وفى الطائرة أجد أن حوالى ربع المقاعد خالية بينما ركابها ملطمون فى مكاتب الشركة ينتظرون الطائرات التالية، وحتى وجبات الطعام لا تقدم بعناية فلا يمكن أن تكون الوجبة كاملة وفى حياتى ما رأيت وجبات طعام تسد النفس فى الطائرات إلا عندنا، وقد نصحنى وزير سابق أهلكت تلك الوجبات معدته أن آخذ معى صاندويتشا من بيتى، أما المواعيد فلا يمكن أن تنضبط قط، حتى أصبح ذلك من خصائص الشركة التى تتميز بها بين شركات الدنيا ويفخر بها موظفوها.

وقد نصحنا بإدخال تغيير كامل على نظام التعليم لكى نستطيع أن نقدم لأولادنا تعليما أحسن يتناسب مع متطلبات العصر، فقالوا لنا: هذا يتنافى

مع الدستور ومجلس الشعب – حامى الدستور – لا يمكن أن يوافق على ذلك. قلنا: طيب: نصلح جامعة واحدة تكون خميرة الإصلاح. نكتفى بكلية طب واحدة من الدرجة الأولى وكلية هندسة واحدة وهكذا، وتضع الجامعة الجديدة نظاما خاصا يضمن لنا الحصول على حد أدنى من فنيين فى الدرجة الأولى لكى نطمئن إلى أننا نستطيع السير فى العصر الراهن فلم يقرأ لنا أحد، وهذا شأنهم معنا: لا يكترثون أبدا لما نقول والإنسان منهم إذا صار مسئولا كبيرا أصبح من طبقة الموهوبين الذين يملكون عصا سحرية تسير كل شىء. وقد قلت ذات مرة لواحد من كبار المسئولين عن مترو الانفاق: بعد قليل يتم هذا المشروع العظيم ويبدأ استعماله، والمترو ليس خط أوتوبيس يجرى على الأرض ولكنه سهم ينطلق فى نفق مركب تحت الأرض تركيبا علميا فنيا معقدا فلابد من دقة عالية فى الإدارة والنظافة، ولابد من محاسبة مستمرة فى استعماله، فمن الآن تختارون من بين أمناء الشرطة أو شباب رجال الأمن أعدادا تمرنونهم على إدارة هذا المترو. تعلمونهم كيف ينظمون مسائل الدخول والخروج والنظافة والإشراف على الركوب والنزول وصيانة الآلات.

قالوا: ذلك يتكلف مالا..

قلت: والشعب مستعد لزيادة ثمن التذكرة قرشين مثلا لنفقات الصناعة والعناية. أن كل محطة من محطات المترو ينبغى أن تكون مركزا إداريا فنيا يتمتع العاملون فيه بكفياة خاصة ومهارة فنية وسلطة إدارية حتى يستمر نظيفا حسن السير صالح الآلات نظيف المركبات. لابد أن نحمى أنفاق المترو من القذارة الغالبة على مدينتنا ومن الفوضى التى تسيطر على كل أعمالنا، وقلة الكفاية التى أصبحت خاصية من خاصياتنا.

قالوا: نشوف!..

وهم لن يشوفوا قطعا، لأنـهم لا يستمعون إلى رأى ولا يتبادلون فكرا. إنـهم السادة ولا سادة غيرهم. ومن يريد أن يتكلم فليتكلم فهذا بلد ديمقراطى حر. والكلام هواء، والهواء هباء.

□□□

ذلك هو مرضنا الأساسى الذى نعانيه يا سيدى رئيس الوزراء! ونحن لا نشكو منك قط بل نعتبرك نعمة علينا وندعو الله أن يحرسك من روح الحكومة التى يسودها الغرور وقلة المعرفة واحتقار آراء الآخرين. وأنت رجل تعلمت فى لوزان ورأيتهم كيف يديرون لوزان، ولكن لوزان، وكل ما يأتى منها يموت فى مطار القاهرة أو فى الموانئ ولا يدخل الا الواغش، وأنت يا سيدى تعمل بعد صلاة الفجر وتواصل الجهد إلى ساعات متأخرة من الليل بينما «الناس اللى تحت» نيام أو نشيطون فيما ينفعهم وحدهم، والناس فى سباق قاتل مع الأسعار والإفلاس ومع ذلك ففى التليفزيون يقلون لنا: كل شىء صناعة محلية بأيد مصرية مائة فى المائة وقبل الموعد بشهور، معجزات، نحن يا سيدى لا نعمل إلا المعجزات، وكان الله فى عونك على معجزات من حولك.